اجتهادات
عاشَ ليُصورَ فأبدع

لم يتخصص فى تصوير الحروب والصراعات المسلحة. يوجدُ مراسلون صحفيون متخصصون فى هذا المجال، وقد لا يقتصرون عليه. لكن المصور الصحفى يوجدُ حيث يكونُ الحدث، وحسب ما يُكلف به. ومع ذلك أُتيح للمصور القدير الراحل كلود صالحانى أن يُصور أكثر من عشر حروب فى منطقتنا وحولها. سجلت كاميرا صالحانى لحظاتٍ بالغة الدقة فى خضم حروب وصراعات مسلحة منذ الصدام الأردنى- الفلسطينى الذى عُرف بأيلول الأسود 1970، وحتى الغزو الأمريكى للعراق 2003، مرورًا بالحرب العراقية- الإيرانية، وحرب تحرير الكويت, وغيرها. ولكن أكثر صورة تعبيرًا عن الجوانب الإنسانية فى الحروب التقطها خلال الحرب الأهلية اللبنانية بين 1975 و1990، والغزو الإسرائيلى للبنان خلالها، والمعارك البطولية التى خاضها المقاومون عام 1982، وقبله وبعده.

دعانى الصديق عبدالرؤوف بختى لزيارة المعرض الفوتوغرافى الذى يحمل اسم كلود صالحانى فى دار المُصوِر بالحمرا خلال وجودى فى بيروت قبل أيام. فى هذا المعرض قليلُ من الصور التى التقطها صالحانى لبعض الحروب التى تفاعل معها بعقله ومشاعره قبل إبداعه التصويرى. فالجزءُ الأكبر من أرشيفه لم يُعثر عليه بعد. والبحثُ عنه جار منذ رحيله فى باريس أغسطس 2022.

يتميزُ تصوير صالحانى بأنه توثيقُ بصرىُ مُبدع للحظات مختارة بعناية، وكأنه كان ينتظرُ كلا منها لأن ما حدث فيها ينطوى على دلالات أبعد مما يظهر فى الصورة التى التقطها. فنانُ هو الذى صوَّر كيف يأكلُ الموتُ

البشر والحجر، فصارت الصورُ التى التقطها توثيقًا مُكَّثفًا لتاريخ لا تُعبرُ كلُ صورةٍ منها عن أحد أحداثه أو مواقفه فقط، بل تحملُ فى ثناياها معانى ودلالاتٍ ودروسًا لمن يتأملها ويُفكرُ فيها. وتُعيدك بعض هذه الصور إلى اللحظات التى التُقطت فيها، وكأنك ترى أمامك ما كان يحدث من خلال التمثيل البصرى الفوتوغرافى، وربما تتخيلُ ما سبق لحظة التقاطها، وقد تجولُ فى ذهنك أسئلة جديدة لم تفكر بها من قبل عن هذه الحرب أو تلك.

وهذا هو الفرقُ بين مُصَّورٍ فنَّان مبدع، وآخر يُصَّورُ لأداء عمله المهنى الذى يعيش منه. مُصورُ يعيشُ ليُصَّور فيبدع، وآخرُ يُصَّور ليعيش